

مختصر ابن كثير

68 - والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما .

- 69 - يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا .

- 70 - إلا من تاب وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما .

- 71 - ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا .

عن عبد الله بن مسعود قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أكبر ؟ قال : " أن تجعل الله أندادا وهو خلقك " قال : ثم أي ؟ قال : " أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " قال : ثم أي ؟ قال : " أن تزاني حيلة جارك " قال عبد الله : وأنزل الله تصديق ذلك { والذين لا يدعون مع الله إلها آخر } الآية (أخرجه النسائي والإمام أحمد ورواه البخاري ومسلم ولفظهما عن ابن مسعود قال : قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله ؟ الحديث) وعن سلمة بن قيس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : " ألا إنما هي أربع " فما أنا بأشج عليهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا " . وروى الإمام أحمد عن المقداد بن الأسود B قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : " ما تقولون في الزنا ؟ " قالوا : حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : " لأن يزني الرجل بعشر نساء أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره " قال : " فما تقولون في السرقة ؟ " قالوا : حرمها الله ورسوله فهي حرام قال : " لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره " . وعن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له " (أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا عن الهيثم بن مالك مرفوعا) وقال ابن عباس : إن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت : { والذين لا يدعون مع الله إلها آخر } الآية ونزلت : { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم } الآية . وقوله تعالى : { ومن يفعل ذلك يلق أثاما } روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال : أثاما : واد في جهنم وقال عكرمة { يلق أثاما } أودية في جهنم يعذب فيها الزناة وقال قتادة { يلق أثاما } : نكالا كنا نحدث أنه واد في جهنم وقال السدي { يلق أثاما } جزاء وهذا أشبه بظاهر

الآية وبهذا فسرته بما بعده مبدلاً منه وهو قوله تعالى : { يضاعف له العذاب يوم القيامة } أي يقرر عليه ويغلظ { ويخلد فيه مهاناً } أي حقيراً ذليلاً وقوله تعالى : { إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً } أي جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات القبيحة ما ذكر { إلا من تاب } أي في الدنيا إلى D من جميع ذلك فإن A يتوب عليه وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء { ومن يقتل مؤمناً متعمداً } الآية فإن هذه وإن كانت مدينة إلا أنها مطلقة فتحمل على من لم يتب .

وقوله تعالى : { فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً } . في معنى قوله : { يبدل الله سيئاتهم حسنات } قولان : أحدهما أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات قال ابن عباس : هم المؤمنون كانوا قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم إلى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات الحسنات . وقال سعيد بن جبير : أبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن وأبدلهم بقتال المسلمين قتال المشركين وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات وقال الحسن البصري : أبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح وأبدلهم بالشرك إخلاصاً وأبدلهم بالفجور إحساناً وبالكفر إسلاماً (والقول الثاني) : أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار المروية عن السلف B هم . فعن أبي ذر B قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار وآخر أهل الجنة دخولاً إلى الجنة يؤتى برجل فيقول : نحوا عنه كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها قال فيقال له : عملت يوم كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا فيقول : نعم لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئاً فيقال : فإن لك بكل سيئة حسنة فيقول : يا رب عملت أشياء لا أراها ههنا " قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه " (أخرجه مسلم في صحيحه) . وعن أبي هريرة قال : ليأتين الله D بأناس يوم القيامة رأوا أنهم قد استكثروا من السيئات قيل : من هم يا أبا هريرة ؟ قال : الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات (أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة موقوفاً) وقال علي بن الحسين زين العابدين { يبدل الله سيئاتهم حسنات } قال : في الآخرة . وقال مكحول : يغفرها لهم فيجعلها حسنات قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو جابر أنه سمع مكحولاً يحدث قال : جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه فقال : يا رسول الله رجل غدر وفجر ولم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطفها بيمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم فهل له من توبة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أسلمت ؟ " قال : أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " فإن الله غافر لك ما كنت كذلك ومبدل سيئاتك حسنات " فقال : يا رسول الله وغدراتي وفجراتي ؟ فقال : " وغدراتك وفجراتك " فولى الرجل يكبر ويهلل (رواه ابن أبي حاتم وأخرجه الطبراني بنحوه) . ثم قال تعالى مخبراً

عن عموم رحمته بعباده وأنه من تاب إليه منهم تاب عليه من أي ذنب كان جليلا أو حقيرا
كبيرا أو صغيرا فقال تعالى : { ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا } أي فإن
الله يقبل توبته كما قال تعالى : { ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده } الآية
وقال تعالى : { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله } الآية : أي
لمن تاب عليه